الفصل الثالث

الشّعْر

تعريفه وأوليته

الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخْيلَةِ البديعة والصُّور المؤثرة البليغة وقد يكون نثراً[1] كما يكون نظماً. والشعر أقدم الآثار الأدبية عهداً لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع، وعدم احتياجه إلى رقي في العقل، أو تعمق في العلم، أو تقدم في المدنية. ولكن أوليَّتَه عند العرب مجهولة، فلم يقع في سماع التاريخ إلا وهو محكم مُقَصَّد وليس مما يَسوغ في العقل أن الشعر بدأ ظهوره على هذه الصورة الناصعة الرائعة في شعر المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس، وإنما اختلفت عليه العُصُر وتقلبت به الحوادث وعملت فيه الألسنة حتى تهذب أسلوبه وتشعبت مَناحيه[2]. والمظنون أن العرب خَطوْا من المرسل إلى السجع[3] ومن السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد.

---

(1) العرب يعرفونه بهذا المعنى كما عرفه العبران واليونان والفرنج فقالوا: " الشعر شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا". وقال حسان لابنه: " شعر ورب الكعبة " حين سمعه يصف زنبوراً لسعه بقوله: "كأنه مُلتَفٌّ في بُردَي حِبَرَة " فهم يطلقون الشعر على النثر المسجوع المشتمل على الخيال المؤثر في الوجدان. وعلى هذا النحو سموا القرآن شعراً والرسول شاعراً.

(2) مما يدل على أن الشعر قديم العهد لول امرئ القيس:

عوجا على الطلل القديم لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حزام

وقول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم

وقول زهير:

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكرورا

(3) قال الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن: إن العرب بدأوا بالنثر وتوصلوا منه إلى الشعر وكان عثورهم عليه في الأصل بالاتفاق غير مقصود إليه فلما استحسنوه واستطابوه ورأوا الأسماع تألفه والنفوس تقبله تتبعوه وتعلموه وتكلفوا له.

فالسجع هو الطور الأول من أطوار الشعر توخاه الكهان مناجاة للآلهة، وتقييداً للحكمة، وتعمية للجواب، وفتنة للسامع. وكهان العرب ككهان الإغريق هم الشعراء الأولون، زعموا أنهم مهبط الإلهام، وأنجياء الآلهة، فكانوا يسترحمونها بالأناشيد، ويستلهمونها بالأدعية، ويخبرون الناس بأسرار الغيب في جمل مقفاة موقعة أطلقوا عليها اسم السجع تشبيهاً لها بسجع الحمامة لما فيها من تلك النغمة الواحدة البسيطة.

فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء، ومن الدعاء إلى الحداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز[1] .

ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان، فكان للحماسة وزن، وللغزل وزن، وللهزج وزن، وهكذا إلى سائر الأوزان التي حصرها الخليل بن أحمد في خمسة عشر وزناً [2] سماها بحوراً.

فأنت ترى أن الشعر مصدره الغناء، وفي أخذهم السجع من هديل الحمامة، والرجز من إيقاع مشي الناقة، ولفظ الشعر من (شير) العبرية بمعنى الترتيلة أو التسبيحة، وقولهم إلى الآن: أنشد الشعر بمعنى ألقاه، ما يؤيد ذلك.

---

(1) الرجز أول ما نظمه العرب للحداء: والغالب في الظن أنه مأخوذ من سير الجمل وهزته، لشدة الموافقة بين تقطيعه وخطوفه. ويزعم العرب أن أول من قاله مضر بن نزار حين سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول: وايداه! وايداه! وكان من أحسن خلق الله صوتاً، فأصغت الإبل إليه وجدت في السير. فقطعوا على هذا الوزن لحن الحداء وسموه الرجز. ومن أمثلته قول الراجز:

دع المطايا تنسِمُ الجَنوبا ... إن لها لنبأ عجيبا

حنينها وما اشتكت لغوبا ... يشهد أن قد فارقت حبيبا

ما حملت إلا فتى كئيبا ... يسر مما أعلنت نصيبا

لو ترك الشوق لنا قلوبا ... إذن لآثارنا بها النِّيبا

إن الغريب يُسعِد الغريبا

(2) زاد الأخفش عليه بحرا بعد ذلك سماه المتدارك.

الشعر والعرب

العرب أشعر الساميين فطرة، وأبلغهم على الشعر قدرة، لاتساع لغتهم للقول، وملائمة بيئتهم للخيال، وصفاء قريحتهم، وسذاجة معيشتهم، وقوة عصبيتهم، وكمال حريتهم، وخلو جزيرتهم مما يصد الفكر عن التأمل، ويعوق الذهن عن التفكر، فهم بين الصحراء والسماء في فضاء من اللانهاية يملأ الذهن والنفس خيالاً وجلالاً وروعة. وهم فوق ذلك ذوو نفوس شاعرة، وطباع ثائرة، يستفزهم الرغبُ والرهبُ، ويزدهيهم الطرب والغضب، فلم يتركوا شيئاً يجول في النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه، فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم، وسجل وقائعهم وسيرهم، وشاهد صوابهم وخطأهم، ومادة حوارهم وسمرهم. وكانوا كلهم يروونه، وجلهم يقرضونه عفو البديهة وفيض الخاطر[1] حتى رُوِيَ عنهم من الشعر الوجداني ما لم يرو عن أمه من أمم الأرض مثله. فلا بدع إذا كان الشاعر يغويهم ويرشدهم، والبيت الواحد يقيمهم ويقعدهم. والأمثال في التاريخ مستفيضة على تأثير الشعر في نفوسهم ومنزلة الشاعر من قلوبهم، كحديث الأعشى مع المحلَّق وحسان مع بني عبد المدان، والحطيئة مع بني أنف الناقة.

---

(1) على أن من الشعراء من كانوا يروون وينقحون فسموهم عبيد الشعر لذلك. كزهير وعدي ابن الرقاع والحطيئة. قال عدي بن الرقاع:

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا ... حتى أقومَ ميلها وسنادها

نظرَ المثقفُ في كعوبِ قناتهِ ... حتى يقيمَ ثقافهُ منآدها

وقال سويد بن كراع:

أَبيتُ بِأَبوابِ القَوافي كَأَنَّما ... أَصادي بِها سِرباً مِنَ الوَحشِ نُزَّعا

أنواع الشعر وأغراضه

أنواع الشعر ثلاثة: شعر غنائي أو وجداني Lyrique وهو أن يستمد الشاعر من طبعه وينقل عن قلبه ويعبر عن شعوره. وشعر قصصي Eptque وهو نظم الوقائع الحربية والمفاخر القومية في شكل قصة، كالإلياذة والشاهنامة. وشعر تمثيلي Drqmatique وهو أن يعمد الشاعر إلى واقعة فيتصور الأشخاص الذين جرت علي أيديهم وينطق كلا منهم بما يناسبه من الأقوال. وينسب إليهم ما يلائمه من الأفعال. والغنائي أسبق هذه الأنواع إلى الظهور؛ لأن الشعر أصله الغناء كما علمت. والإنسان إنما يشعر بنفسه قبل أن يشعر بغيره، ويتغنى بعواطفه قبل أن يتغنى بعواطف سواه [1].

ولما كان الشعر مادته الخيال، والخيال غذاؤه الحس؛ والعربي لا يرى من المناظر غير وجوه البادية، ولا يسمع من الأقاصيص إلا البطولة والحرب، ولا يعرف من الجمال إلا جمال المرأة، أبدع في وصف ما شاهده من حيوان وسهل وجبل، وأجاد التعبير عن عاطفة الحماسة يوم الخصومة والجدل، وتفنن ما شاء له الحب في التشبيب والغزل. فالشعر العربي غنائي محض، لا يُعنى الشاعر فيه إلا بتصوير نفسه، والتعبير عن شعوره وحسه. والعواطف تتشابه في أكثر القلوب ويكاد التعبير عنها يتفق في أكثر الألسنة. ومن ثم نشأ فيه التكرار، وتوارد الخواطر، والسرقة، ووحدة الأسلوب، وتشابه الأثر. وكان من الحق أن يقول زهير:

ما أرانا نقول إلا معارا أو معاداً من لفظنا مكرورا

أما الشعر القصصي والتمثيلي فلا أثر لهما فيه، لأن مزاولتهما تقتضي الروية والفكرة، والعرب أهل بديهة وارتجال؛ وتطلب الإلمام بطبائع الناس، وقد شغلوا بأنفسهم عن النظر فيمن عداهم؛ وتفتقر إلى التحليل والتطويل،

---

(1) جاء في كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان، وكتاب (في الأدب الجاهلي) والمجمل في تاريخ الأدب العربي: أن الشعر القصصي أسبق من الغنائي، وهو زعم لا مصدر له ولا دليل عليه. فإن العلماء يكادون يجعلون الغنائي أصلاً والقصصي والتمثيلي شكل من أشكاله.

وهم أشد الناس اختصاراً للقول وأقلهم تعمقاً في البحث. وقد قَلَّ تعرضهم للأسفار البعيدة والأخطار الشديدة، وحرمتهم طبيعة أرضهم، وبساطة دينهم، وضيق خيالهم، واعتقادهم بوحدانية إلههم، كثرة الأساطير وهي من أغزر ينابيع الشعر القصصي، فزخرت بحور الشعر العربي بالفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والعتاب والغزل والوصف والاعتذار والحكمة، وخلا مع اتساعه وتشعب أغراضه من الملاحم المطولة[1] التي تعلن المفاخر القومية وتشيد بذكر الأبطال والفروسية كالإلياذة[2] لليونان، والإينياد للرومان، ومهابهاراته للهنود، والشاهنامة للفرس.

---

(1) قال صاحب المثل السائر في معرض كلامه عن الإطالة وعجز الشاعر عنها: (إني وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة المشار إليها، فإن شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من أوله إلى آخره شعرا، وهو شرح قصص وأحوال، ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم، كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بشاه نامه، وهو ستون ألف بيت من الشعر، يشتمل على تاريخ الفرس، وهو قرآن القوم، وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس في لغتهم أفصح منه1، وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها، وعلى أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر).

(2) الإلياذة: ملحمة يونانية نظمها هوميروس في حروب طروادة، وهي تمثل الحضارة اليونانية القديمة أصدق تمثيل.

والإينياد: L'eneide ملحمة نظمها فرجيل أكبر شعراء الرومان (70 – 190 قبل الميلاد) قلد بها إلياذة هوميروس فأبدع.

والمهابهاراته: ملحمة هندية نظمها (فياسا) أحد كهان الهنود باللسان السنسكريتي قبل الميلاد بقرون يصف فيها الحروب التي نشبت بين البانفادس والكوروس؛ وهي تبلغ مائي ألف بيت.

والشاهنامة: ملحمة فارسية نظمها الحسن بن إسحاق الفردوسي المتوفى سنة 411هـ في تاريخ الأكاسرة وأخبارهم، ووصف الحرب التي اشتعلت بين أهل إيران وأهل طوران. وقد نقلها إلى العربية نثراً الفتح بن علي البنداري الأصبهاني وقدمها إلى خزانة أحد الملوك الأيوبيين. وقد نشرها وقدم لها وأتمها وعلق عليها الدكتور عبد الوهاب عزام سنة 1932 بالقاهرة.

مميزات الشعر الجاهلي

وعوثة الصحراء وخشونة العيش، وحرية الفكر، وطبيعة الجو، وسذاجة البدو كل أولئك طبع الشعر الجاهلي بطابع خاص ومازه بسمة ظاهرة. فمن خصائصه الصدق في تصوير العاطفة، وتمثيل الطبيعة، فلا تجد فيه كلفاً بالزخرف ولا تكلفاً في الأداء؛ فكثر لذلك الإيجاز، وقَلَّ المجاز، وندرت المبالغة. وضعفت العناية بسياق الفكر على سنن المنطق واقتضاء الطبع: فعلائق المعاني واهنة واهية، ومساق الأبيات مفكك مضطرب. فإذا حذفت أو قدمت أو أخرت لا تشعر القصيدة بتشويه أو نقص؛ وذلك لأن البدو بطبيعتهم يعوزهم النظر الفلسفي فلا يرون الحوادث والأشياء إلا مجردة لا ينظمها سلك ولا تجمعها علاقة، ومن ثَمَّ كانت وحدة النقد عند أدباء العرب البيت لا القصيدة. ومنها استعمال الغريب ومتانة التركيب وجزالة اللفظ؛ لتأثرهم بمظاهر الغلظة والقوة البادية في طباعهم ونظام اجتماعهم. والابتداء بذكر الإطلال والديار، لأنهم أهل خيام ومضارب، وألَّاف انتجاع وظعن، فلا يكاد الشاعر يمر بمكان حتى يذكر عهداً قضاه فيه، وأحبة ترحلوا عنه. فتهيجه الذكرى فيحيِّيه ويبكيه. والشعر الجاهلي على الجملة كثير التشابه قليل التنوع يجري في حَلْبة واحدة من السماع والتقليد.

الرواية والمعلقات

المرويَّ من الشعر الجاهلي على قصر عهده المعروف يفوت الجمع وتضيق عنه الحافظة. على أن كثيرين من رواته ذهبت بهم حروب الفتح فذهب معهم شطر كبير منه. قال أبو عمرو ابن العلاء: " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله. ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير " ولكن هذه الكثرة متهمة وروايتها مُريبة، فإن الشعر لم يدون إلا في أوائل القرن الثاني للهجرة وإن في نقله على الألسنة، طوال هذه الأزمنة، مَظنة للتبديل والاختلاق والتزيد. وفيما رُوِي عن حماد الراوية وخلف الأحمر من عَبثهما بالشعر وافتعالهما إياه مساغ لهذا الظن. ولعل القصائد التسع والأربعين التي جمعها أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب أصح الشعر القديم رواية وأصدقه تمثيلاً لأسلوبه

ومنهاجه. وأبعد هذه القصائد مدى في الرواية، وأوفرها حظاً من الحفظ والعناية، المعلقات أو المذهّبات أو السُّموط. وهُنّ على الرأي الغالب سبع قصائد يزعم جمهور المؤرخين أن العرب اختارتها فكتبتها بماء الذهب على القباطي، ثم علقتها بالكعبة إعجاباً بها وإشادة بذكرها. وقد بقي بعضها إلى يوم فتح مكة وذهب بالبعض الآخر حريق أصاب الكعبة قبل الإسلام: وأصحابها هم امرؤ القيس، وزهير ابن أبي سُلمى، وطرفَة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حارة. ومن الناس من ينكر تعليقها على الكعبة بغير دليل قائم ولا حجة مقنعة، فمن المتقدمين أبو جعفر النحاس[1] المتوفى سنة 338هـ. ومن المتأخرين المستشرق الألماني[2] نولدكي Noeldeke على أن تعليق الصحائف الخطيرة على الكعبة كان سُنة في الجاهلية بقي أثرها في الإسلام. فمن ذلك تعليق قريش الصحيفة التي وكدوا فيها على أنفسهم مقاطعة بني هاشم والمطلب لحمايتهم رسول الله (ص) حين أجمع على الدعوة؛ وتعليق الرشيد عهده بالخلافة من بعده إلى ولديه الأمين والمأمون. فلم لا يكون الأمر كذلك في هذه القصائد مع ما علمت من تأثير الشعر فيهم ومكانة الشعراء منهم؟ على أن لهذا الأمر نظائر في أدب الإغريق، فإن القصيدة التي قالها بَنْدار زعيم الشعر الغنائي يمدح بها دياجوراس قد كتبوها بالذهب على جدران معبد أثينا في لمنوس.[3]

---

(1) قال أبو جعفر النحاس في شرحه للمعلقات: واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع، فقيل: إن العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الأشعار، فإذا استحسن الملك قصيدة قال: علقوها وأثبتوها في خزائني. وأما قول من قال: إنها علقت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة

(2) وضع الأستاذ نولدكي كتاباً في هذا الموضوع رجع فيه أن المعلقات معناها المنتخبات؛ وإنما سماها حماد الراوية بهذا الاسم تشبيهاً لها بالقلائد التي تعلق في النحور؛ واستدل على ذلك بأن من أسمائها السموط ومن معاني السموط القلائد. وشايعه على هذا الرأي الأستاذ كليمان هيار الفرنسي مؤلف كتاب الأدب العربي بلغته.

(3) انظر دائرة معارف لاروس في كلمة (بندار) .

نماذج من الشعر الجاهلي

قال امرؤ القيس:

وَقَـد أَغتَـدي وَالطَيـرُ فـي وُكُناتِهـا لِغَيـثٍ مِـنَ الوَسـمِيّ رائِـدُهُ خـالِ
تحامـاهُ أَطـرافُ الرمـاح تَحامِيـاً وجـادَ عليـه كُـلُّ أَسـحَمَ هَطَّـال
بعَجْلَـزَةٍ قـد أَتْـرَزَ الجَـريُ لَحمَهـا كَمَيْـتٍ كأَنَّهـا هِـراوَةُ مِنـوال
ذَعـرْتُ بهـا سِـرباً نقيـاً جُلـودُه وأَكْرُعُـهُ وَشـيُ البُـرودِ مِـنَ الخـال
كَـأَنَّ الصُـوارَ إِذْ تجاهـدنَ عَـدوُهُ على جمزَى – خَيلٍ تَجولُ بأَجْلال
فجـال الصُـوار، واتقَّـين بِقَرْهَـبِ طويـل الفِـرا والـرَوق أَخـنَسَ ذَيـال
فعاَديـتُ منـه بـين ثـور ونعْجـةٍ وكـان عِـدائي إذ رَكبـت عَلَـى بـالي
كـأني بفتخـاء الجنـاحْين لَقَـوةٍ على عجـل منهـا أطـأطِي شـملالي
تَخطـفُ خِـزَّانَ الأنـيْعَم بالضـحَى وقـد حَجَـرَتْ منهـا ثعالـبِ أوركـل
كـأنَّ قلـوب الطيـرِ رطبـاً ويابسـاً لدى وَكرها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي
فلـو أنَّ مـا أَسـعى لأدنـى معيشـة كفاني –ولم أطلب– قليلٌ من المال
ولكنمـا أسـعى لمجـد مُؤثَّـلٍ وقـد يـدرك المجـدَ المؤثـلَ أمثـالي
وما المرء ما دامت حُشاشةُ نفسِه بمُـدرِك أطـرافِ الخُطـوب ولا آل

وقال النابغة الذُّبياني من قصيدته التي يمدح بها النعمان ويعتذر إليه:

أتـاني – أبَيْـتَ اللَّعـنَ - أنَّـك لُمْتنـي وتلـك التـي تَسْـتك منهـا المسـامع
مقالـةُ أَنْ قـد قلْـت: سـوفَ أنالـهُ، وذلـكَ مـن تلقـاه مِثلـك رائـعُ
لعمـري – ومـا عمـري عَلَـىَّ بهيَّن - لقـد نطقـت بُطْـلا عَلَـىَّ الأقـارعُ
أقـارعُ عـوْف، لا أحـاول غيرَهـا وُجـوهُ قُـرود تبتغـي مَـنْ تجـادع
أتـاكَ امـرُؤٌ مسـتبطنٌ لـيَ بُغْضَـةَ لـه مـن عـدو مثـل ذلـك شـافُع

أتاك بقول هَلْهَلِ النسج كاذبِ ... ولم يأت بالحق الذي هو ناصعُ
أتاك بقول لم أكن لأقوله ... ولو كُلبتّ في ساعديَّ الجوامع
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وهل يَأئمَنْ ذو أمَّة، وهو طائع
بمصطحبات من لِصاف وثَبْرَةٍ ... يرون إلاَلاً، سَيرُهنَّ التدافع
سماماً تُباري الرّيحَ خوصاً عيونُها ... لَهُنَّ رزَايا بالطريق ودَائعُ
عليهنَّ شعْثٌ عامِدُون لحجَّهم ... فهُنَّ كأطراف الحَنيِّ خواضعُ
لَكلفْتَني ذنب امرئ، وَتركتَه ... كذي الْعُرَّ يُكوىَ غيرهُ وهو راتع
فإن كنت لا ذو الضَّغْن عني مُكذِّبٌ ... ولا حَلِفي عَلَى البْرَاءةِ نَافعُ
ولا أنا مأمونٌ بشيء أَقولهُ ... وأنت بأمر – لا محالة – واقعُ
فإنك كالليل الذي هو مُدركي ... وإن خِلتُ أنَّ المنتأى عنك واسع
خطاطيفُ حُجْن في حبال متينةٍ ... تُمّدُّ بها أيدٍ إليك نَوَازعُ
أتُوعِدُ عبْداً لم يُخْنْك أمانةً ... ويتُرَك عبدٌ ظالمٌ وهو ضالع
وأنت ربيعٌ يُنعِشُ النَّاسَ سَيبُه ... وسَيفٌ أُعيرَتْهُ المنِيَّة قاطع
أبى اللهُ إلا عدلهُ ووَفاءهُ ... فلا النُّكْرُ معروفٌ ولا العُرف ضائع
وتُسقى إذا ما شئْتَ غيرَ مُصَرَّدٍ ... بزوراءَ في حاناتها المسكُ كانع

وقال دُريد بن الصِّمة[1] في رثاء أخيه:

أرثَّ جديدُ الحَبْل منْ أمَّ مَعْبَدِ ... بعاقبةٍ، أَم أَخلفت كلَّ موعِد
وكانت، ولم أَحمْدْ إليك نوالهاَ ... ولم ترْجُ منَّا ردَّةَ اليوم أو غَدِ

---

(1) دريد بن الصمة شاعر فارس سيد، أدرك الإسلام ولم يسلم. قتل بنو غطفان أخاه عبد الله لأن دريداً أغار عليهم واستاق إبلهم، فنزل عبد الله في بعض الطريق ليقتسم الغنيمة فنهاه دريد مخافة أن تلحق بهم غطفان المنهوبة، فأبى؛ وبقى حتى أدركته الخيل فقتله عبس. وأراد دريد إنقاذه فلم يغن عنه، وبقى دهره حزيناً يرثيه حتى لامته في ذلك امرأته أم معبد فطلقها، وقال فيها وفي رثاء أخيه القصيدة.

كـأنَّ خمـولَ الحـيَّ إذ متَـع الضُّـحى ... بناصـيـة الشَّـحناء عَصْـبةُ مِـذوَدِ
أو الأثـأبُ الْعَـمُّ المُحَـرَّمُ سُـوقهُ ... بكابـةَ لـم يُخْـبَط، ولـم يتعَضـدِ
فقلـت لعـارض وأصـحاب عـارض ... ورهِـط بني السوداء والقومُ شُهَّدى
علانيـةً: ظُنُـوا بـألْفىْ مُـدَجَّج ... سَـراتهُمُ فـي الْفارِسـيَّ المُسَـرّدِ
وقلـت لهـم: إنَّ الأحـاليفَ هـذه ... مطنِّبَـةٌ بـين السَّـتار وثهمـدِ
ولمـا رأَيـت الْخيْـلَ قُـبْلاً كأنهـا ... جـرادٌ يُبـاري وجْهَـةٌ الـريح مُغتـدي
أمـرتُهمُ أمـري بمُنْعـرج اللـوى ... فلم يستبينوا الرُّشد إلا ضُحى الغد
فلمـا عَصـوني كنـت منهم وقـد أَرى ... غـوَايتهَم أنـي بهـم غيـرُ مُهتـدي
وهـل أنـا إلا مـن غزّيـة؟ إن غـوت ... غوَيـتُ وإن ترشـدْ غزَّيـةُ أرشُـدِ
دعـاني أخـي والخيـل بينـي وبينَـه ... فلمـا دَعـاني لـم يجـدني بقُعْـدُد
أخ أرضـعتني أمُّـه مِـنْ لبانهـا ... بثَـدْي صـفاء بيننـا لـم يُجـدد
فجئْـتُ إليـه والرمـاحُ تَنُوشُـه ... كوقع الصَّياصي في النسيج الممُدّد
وكنـت كـذاتِ البَوّرِيعـت فأقبلـت ... إلـى قِطَـع مـن جلـد بَـوٍّ مُجَلـدَ
فطاعنـتُ عنـه الخيـلَ حتـى تنهنهـتْ ... وحتـى علانِـى حالـكُ اللـون أَسـود
قِتـالَ امـرئ آسـى أَخـاهُ بنفسِـه ... ويعلـم أن المـرء غيـرُ مُخّلـد
تنـادَوْا فقـالوا: أردْتِ الخيـلُ فارسـاَ! ... فقلـتُ: أَعَبـدُ الله ذلكـم الـرّدِي؟
فـإن يـكُ عبـدُ الله خلـىّ مكَانـه ... فمـا كـان وقّافـا ولا طـائشُ اليـد
ولا برمـاً إمَّـا الريـاحُ تناوحَـتْ ... برَطْـبِ العِضـاه والضّـريع المنُضَّـدِ
وتخْـرِج منـه صِـرَّهُ القُـرَّ جـزأةَ ... وطُـوُل السَّـرى دُرَّيَّ عَضْـبٍ مُهَنَّـد
كمـيشْ الإزارِ خـارجٌ نصـفُ سـاقِه ... صـبورٌ علـى الضـراءِ طَـلاَّعٌ أنْجُـدُ
قليـلٌ تشـكيه المصـيبات ذاكُـرٌ ... من اليوم أعقابَ الأحاديث في غد

ذا هَـبَط الأرضَ الفضـاءَ تَزَيْنـتْ لرُؤْيتـه كالمـأْتم المتَلَبِّـد
وكـم غـارةٍ بالليـل واليـوم قبلَـه تـدارَكها منِّـي بسـيدٍ عمَّـردِ
سليم الشظى عَبْلُ الشَّوى شَنجُ النَّسا طويـلُ القـرَا نَهـدٌ أَسـيلُ المقُلَّـد
يفـوتُ طويـل القـوم عَقْـدُ عـذَاره مُنيـفٌ كجـذع النّخلـة المتَجـرِّد
وكنـتُ كـأني واثـق بمُصـدِّرٍ يُمَشِّـى بأكنـافِ الجُبَيْـل فثهمَـدَ
لـه كـلُّ مـنْ يَلْقـىَ مـن النـاس واحـداً وإن يَلْـق مَثنـىَ القَـوْم يفْـرَحْ ويَـزْدَدْ
وهَـوَّن وجْـدي أننـي لـم أقُـل لـه: كـذَبت ولـم أبخل بما مَلكتْ يدي

وقال علقمة بن عَبدَة التميمي[1] :

طحا بك قَلْبٌ في الحسانِ طروبُ بُعَيـدَ الشـبَّابِ عَصْـرَ حـان مشـيبُ
يكلفُنـي لْيَلـى، وقـد شـطّ ولْيُهـا وعـادت عـوادِ بيننـا وخُطـوب
مُنعَّمـةٌ، مـا يُسـتطاع كلامهـا علـى بابهـا مِـن أن تُـزارَ رَقيـب
إذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفشِ سِرَّهُ وتُرضـى إيـاب البعـل حـين يـؤُوب
فـلا تعـدِلي بينـي وبـين مغُمَّـر سَـقتكِ روايـا المُـزْن حـين تصـوب
سـقاكِ يمـان ذو حَبـيٍّ وعـارضٍ تـروحُ بـه جُـنْحَ العشـيِّ جنـوب
ومـا أنـت؟ أم مـا ذكرهـا؟ ربَعِيَّـةً يُخـطُ لهـا مـن ثرمـدَاءَ قَليـب
فـإن تسـألوني بالنسـاءِ فـإني بصـيرٌ بـأدواءِ النسـاء طبيـب
إذا شـابَ رأسُ أو قـلَّ مالـه فلـيس ل مـن وُدِّهِـنَ نصـيب
يُـردْنَ ثـراءَ المـال حيـث عَلمِنـهَ وشـرْخُ الشـباب عنـدهُن عجيـب
فـدعْها وسلِّ الهـمَّ عنـكِ بِجَسْـرَةٍ كهمـكِّ فيهـا بـالردافِ خبيـب
إلى الحارثِ الوهاب أعملتُ ناقتي بكلكلهـا والقُصْـرَيَيْن وجيـب

---

(1) شاعر جاهلي من طبقة امرئ القيس ومعاصريه، وتوفي قبل الإسلام بزمن طويل.

وقال عبد يغوث الحارثي اليمني[1]:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا ... فما لكَما في اللوم خيرٌ ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعُها ... قليل، وما لومي أخي من شِماليا
فيا راكباً إمَّا عرضتَ فبَلِّغنْ ... نداماي من نجران أنْ لا تلاقِيا
أبا كرب والأيْهَمَيْن كليهما ... وقيساً بأعلى حضر مَوت اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة ... صريحهمُ والآخرين الموالِيا
ولو شئت نجتْبي من الخيل نهْدَةٌ ... ترى خلفها الحُوَّ الجياد توَاليا
ولكنني أحمي ذِمار أبيكُم ... وكان الرماح يختطفن لمُحاميا
أقول وقد شدُّوا لساني بنسْعَةٍ ... أمعشر تَيْم أطلقوا عن لِسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فأسْجِحُوا ... فإن أخاكم لم يكن من بوَائيا
إنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِيَ سَيِّداً ... وإنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا
أحقاً عبادَ اللهِ أن لستُ سامعاً ... نشيد الرِّعاء المُعْزِبينَ المتاليا
وتضحك مكني شيخةٌ عبشيمةٌ ... كأن لم ترى قبلي أَسيراً يمانيا
وقد علمت عرسي مليُكة أنني ... أنا الليثُ معدُوًّا عَلَيه وعادِيا
وقد كنت نحَّارَ الحزور، ومُعمْل ... الْمَطيَّ، وأُمضي حيث لا حيَّ ماضيا
وأنحرُ للشَّرب الكريم مطيَّتي ... وأصدعْ بين الْقَيْنَتَيْنِ القناة ردائيا
وكنْتُ إذا ما الْخَيْلُ شَمَّصَهَا القَنَا ... لَبِيقاً بتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا
وعادية سَوْمَ الجراد وَزعتها ... يكِّفي وقد أَنحوْا إليَّ العواليا
كأنىَ لم أركبْ جواداً ولم أقل ... لخيلي: كرِّى نفسي عن رجاليا
ولم أسبأُ الزِّق الرويِّ، ولم أقل ... لأيْسار صدق أعظموا ضوء ناريا

---

(1) شاعر فارسي من طرائق قومه، أسرته تيم الرباب يوم الكلاب وهو يوم بين تيم واليمن.

وقال ذو الإصبع العدواني:

لـيَ ابـنُ عـمّ علـى مـا كـان مـن خُلـق ... مختلفـــان: فأقليـــه، ويَقلينـــي
أزرى بنـــا أَننـــا شـــالتْ نعامُتنـــاَ ... فخـــالني دُونـــه، وخلتُـــه دونـــي
يـا عمـرو إلا تـدعْ شـتمِي ومنقْصَـتَى ... أَضربْكَ، حتى تقول الهامة: اسقوني
لاه ابن عمك! لا أفضلت في حسبٍ ... عنـــي، ولا أنـــت ديّـــاني فتخْزونـــي
ولا تقُـــوتُ عِيَـــالِي يَـــومَ مَسْـــغَبَةٍ ... ولا بِنَفْسِـــكَ فـــي العَـــزَّاءَ تَكْفِينـــي
إنـــي لعمـــرك مـــا بـــابي بـــذي غَلَـــق ... عـــن الصـــديق، ولا خيـــري بممنـــون
ولا لســـاني علـــى الأدنـــى بمنطلـــق ... بالفاحشـــات، ولا فتكـــي بمـــأمون
عـفٌّ بـؤوس إذا مـا خفـتُ مـن بلـد ... هُونـاً فلسـتُ بوقـاف عَلَـى الهُـون
عنـــى إليـــك، فمـــا أُمِّـــي بَرَاعيـــةٍ ... ترعـى المخـاض، ومـا رأَيـي بمغبُـون
كـــلّ امـــرئ راجـــع يومـــاً لشـــيمته ... وإن تخلَّـــق أخلاقـــاً إلـــى حـــين
إنـــي أُبـــيٌّ أبـــيٌّ ذو محافظـــةٍ ... وابـــنُ أَبِـــيٍّ أَبِـــيٍّ مـــن أَبِيّـــينِ
وأنـــتمُ معشـــرٌ زيـــدٌ عَلَـــى مائـــة ... فـــأجمعوا أمـــركم كـــلاً فكيـــدوني
فـإن علمـتم سـبيل الرشـد فـانطلقوا ... وإن جهلـتم سـبيل الرشـد فـأتوني
مـــاذا عَلَـــيَّ وإن كنـــتم ذوي رحمـــي ... ألا أحـــبكم إن لـــم تحبـــوني
لـو تشـربون دمـي لـم يـرو شـاربكم ... ولا دمـــاؤكم جَمْعـــاً تُرَوِّبنـــي
الله يعَلمنـــــي، والله يعَلمكـــــم ... والله يجـــزيكم عنـــي، ويجزينـــي
قـد كنـت أوتـيكم نصـحى، وأمـنحكم ... وُدَّي على مُثبت في الصدر مَكنون
لا يُخـرِجُ الكَـرْهُ منِّـي غَيْـرَ مَأْبِيَـةٍ ... ولا أَلِـينُ لِمَـنْ لا يَبْتَغِـي لِينـي

وقال الأفوهُ الأوْدي:

البيـــتُ لا يُبتنـــى إلا لـــه عَمـــد ... ولا عمـــاد إذا لـــم تُـــرْسَ أوتـــادُ
فـــإنْ تجمَّـــعَ أوتـــادٌ وأعمـــدةٌ ... وسَـاكن بَلغـوا الأمـر الـذي كـادوا

لا يصلحُ الناس فوضى لا سرَاة لهم ولا سَـــراة إذا جهَّـــالهم ســـادُوا
تهدي الأمُور بأهل الرأي ما صلحت فـــإنْ تولَـــتْ فبالأشـــرار تنقـــادُ
إذا تـــولىَ ســـراة النـــاس أمـــرهم نمـاَ علـى ذاك أمـر الْقـوم فـازدادوا

وقال ودَّاك بن ثُميل المازني:

رويـد بنـي شـيبان بعـضَ وعيـدكم تُلاقـوا غـداً خيلـي علـى سـفَوان
تلاقـوا جيـاداً لا تحيـد عـن الـوغي إذا مـا غـدتْ فـي المـأزق المتـدانى
عليهـا الكمـاةُ الغـرُّ مـن آل مـازن ليـوث طعـان عنـد كـل طعـانِ
تلاقـوهم فتعرفـوا كيـف صـبرُهم عَلَـى مـا جنـتْ فـيهم يـد الحـدثَان
مقاديم وصَّالون في الرّوع خطوهم بِكـــلِّ رَقيـــق الشـــفرتين يمـــان
إذا استُنجدُوا لم يسألوا من دعاهمُ لأيـــة حـــرب أمْ بِـــأيِّ مَكـــان

وقال زهير بن أبي سُلْمى يمدح هَرم بن سنان:

وأَبـــيضَ فيَّـــاض يَـــدَاهُ غمامـــة عَلَـــى مُعْتِفَيـــهِ مَـــا تُغِـــبّ فواضـــلُه
أخـي ثقـة لا يهلـك الخمـر مالـه ولكنـه قـد يهلـك المـال نائلـه
تـــراه إذا مـــا جئتـــه مـــتهللا كأَنـك تعطيـه الـذي أنـت سـائله

وقال أيضًا:

وفـيهم مقامـاتٌ حسـانٌ وجـوههم وأنديـــةٌ ينتابهـــا القـــول والفعـــل
وإن جئـتهم ألفيـت حـول بيـوتهم مجالس قد يُشْفى بأحلامها الجهل
علـى مكثـريهم رَزقُ مـن يَعتـريهمُ وعنـد المقلِـين السـماحة والبـذل
سعى بعـدهم قـوم لكـي يـدركُوهُم فلـم يفعلـوا ولـم يليمـوا ولـم يـألوا
فمـا كـان مـن خيـر أتـوه فإنمـا تَوَارثَـــهُ آبـــاء آبـــائهم قبـــل
وهَـلْ يُنْبِـتُ الْخَطَـيَّ إلاَّ وَشِـيجُهُ وتُغْـرِسُ إلاَ فـي مَنَابِتِهَـا النَخْـلُ؟

وقال الأعشى يمدح المحلق:

لعمري لقد لاحت عيونُ كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرَّقُ
تُشَبّ لمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا بَاتَ عَلى النّارِ النّدَى وَالمُحَلَّقُ
رضيعيْ لبانٍ ثديَ أمٍ تقاسما بأَسحم داج عَوْضُ لا نتفرق
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهِنْدُواني رونق
يداه يدا صدق فكفٌ مُبيدةٌ وكفُ إذا ما ضُنّ بالمال تُنفِقُ

وقال تأبط شراً يمدح ابن عم له ويمدحه بما يتمدح به الجاهليون من الصفات:

إني لَمُهدٍ من ثنائي فقاصدٌ به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهزُّ به في ندوة الحي عِطْفهُ كما هز عطفي بالهجان الأوارك
قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بموماة ويمسي بغيرها جُحيشاً ويَعْرورى ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي بمنخرق من شدِّه المتدارك
إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل له كالئٌ من قلب شيْحانَ فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه إلى سلَّةٍ من حد أخلق صائك
إذا هزه في وجه قرن تهللت نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الإنس الأَنيس ويهتدي بحيث اهتدت أمُّ النجوم الشوابك

وقال عمرو بن الهذيل العبدي:

ولا ترْج خيراً عند باب ابن مَسمعٍ إذا كنت من حيَّي حنيفة أو عِجْل
ونحن أقمنا أمر بكر بن وائل وأنت (بشاج) ما تمرُّ وما تحْلى
وما تستوي أحساب قوم تُورِّثتْ قديماً وأحساب نبتنَ مع البقل

وقال لبيد بن ربيعة يرثي النعمان:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحُبٌ فيقضى أم ضلالٌ وباطل؟

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... بلى، كلَّ ذي لب إلى الله واسل
ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويْهِيةً تصفر منها الأنامل
وكل امرئ يوماً سيعلم غَيّه ... إذا حُصّلت عند الإله الحصائل
إذا المرء أسرى ليلة حال أنه ... قضى عاملا، والمرء ما دام عامل
فقولا له إن كان يقسم أمره ... ألما يعظْك الدهر؟ أمك هابل
فتعلم أني لست مدرِك ما مضى ... ولا أنت مما تحذر النفس وائل
فإن أنت لم ينفعل علمك فانتسب ... لعلك تهديك القرون الأوائل
وإن لم تجد من دون عدنان والداً ... ودون مَعَدِّ فْلترغْك العواذل

وقال عَديّ بن زيد العبادِى:

أيها الشامت المعيِّر بالدهر ... أأنت المبرّأ الموفور؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيام ... أم أنت جاهل مغرور؟
من رأيت المنون خلدن أم منْ ... ذا عليه من أن يُضام خفير؟
أين كسرى كسرى الملوك أبو ... ساسان أم أين قبله سابور؟
وأبو الخضر إذ بناه وإذ دجلة ... تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجللله كلْساً ... فللطير في ذراه وكور
وتبين رب الخورْنق إذ أشرف ... يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك ... والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قَلبه فقال وما غبطة ... حي إلى الممات يصير؟
ثم بعد الفَلاح والملك والأمة م ... وارتهمُ هناك القبور
ثم أصحوا كأنهم ورق جفّ م ... فَأَلْوَتْ بِهِ الصّبا وَالْدَّبُورُ

وقال امرؤ القيس في معلقته يصف الليل:

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

وقال فيها يصف جواده:

وَقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ. وإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ، وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ

وقال طرفة بن العبد يصف السفينة:

كأن حَدوج المالكية غدوة خلايا سقين بالنواصف من (دَدِ)
عَدْوَلية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاحُ طوراً ويهتدي
يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلَ بِاليَدِ

وقال أبو صعترة البولاني:

فما نطفة من حَبّ مزن تقاذفت به جَنْبتا الجوديّ والليل دامس
فلما أقرّته اللصاب تنفست شمالٌ لأعلى مائه فهو فارس
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه، ولكنني فيما ترى العين فارس

وقال الأعشى:

ما روضةُ من رياض الحَزن معشبة خضراء جاد عليها مسْبِل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرِق مؤزر بعميم النبت مكتهَل
يوماً بأطيب منها نشرَ رائحة ولا بأحسن منها إذْ دنا الأصُل

وقال المتلمس جرير بن عبد العزّى من قصيدة:

وكنا إذا الجبار صعّر خدّه أقمنا له من خده فتقوّما

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما عُلِّم الإنسان إلا ليعلما
ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت إلا مثلَ قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أَجذما
فلما استقاد الكفّ بالكف لم يجد له درَكا في أن تبِينا فأحجما
يداه أصابت هذه حتف هذه لم تجد الأخرى عليها مقدما
فأطرق إطراق الشجاع ولوْ يرى مساغا لنابَيهْ الشجاع لصمما